شبة الجزيرة العربية في القرآن

إعادة دراسة بعض المصطلحات علي ضوء المنقوشات الجاهلية

ترجمة مقال كريستيان روبن بالفرنسية : (Les origines du Coran, le Coran des origines)

ان النص القرآني بالنسبة للمؤرخ هو نص محير ذلك لأنه لا يشتمل الا على القليل جدا من المعطيات المادية المتعلقة بالتاريخ او بالجغرافيا. فيمكننا على الأكثر إحصاء ست شخصيات واثني عشر من الأماكن والاثار وثمانية قبائل وشعوب وأربع أحداث. اجمالا هم ليسوا الا ثلاثون من أسماء العلم التي تحدد الإطار الزمني أو المكاني. وهو رقم تقريبي بما ان الكثير من التعبيرات الغامضة ربما ترجع الي أماكن او أحداث مثل *أصحاب الأيكة، أصحاب الرس والبحران*... الخ. ولقد لخص الأمريكي فرانسيس ادوارد بيترز هذه النتيجة بشكل رائع واصفا القران بأنه" *نص بدون محتوي* "(١٩٩١ ص ٣٠٠).

نظرة بسيطة على القران سنري ما يشير الي حدث وقع خارج شبه الجزيرة العربية. ذلك من خلال الآيات المشهورة في بداية سورة الروم: (ملحوظه هامه من جانب المترجم للتوضيح: الكاتب هنا سيعرض ترجمتين مختلفتين للآيات نفسها في بداية سورة الروم بالتحديد طريقة نطق الفعل "غلبت" والفعل "سيغلبون" والتي تؤدي بالتالي الي معني مختلف. فهو يترجمه مرة "غُلِبَتِ" وهو ما ينطق في نص القران بمعني هزيمة الروم ونفس الامر مع "سيغلبون" حيث يترجمها في المرة الاولي "سَيَغلِبون" بنفس نطق النص القرآني اما الترجمة الثانية فهي "غَلَبت" وهذا النطق يعني بان الروم هم من انتصروا في البداية الثانية ثم يترجم "سيغلبون" بالشكل المضاد أيضا في النطق وتنطق "سَيُغلبون" أي ان الروم هم الخاسرون بعد نصرهم في البداية وهذا عكس النص القرآني. إذا الترجمة الاولي مطابقة للنص القرآني اما الثانية تعكس الامر.) والترجمتين كالاتي:

غُلِبَتِ الرُّومُ - فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ- فِي بِضْعِ سِنِينَ

غَلَبت(انتصرت) الرُّومُ - فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبُهم(انتصارهم) سَيُغلَبون(سيخسرون)- فِي بِضْعِ سِنِينَ

ان التركيب الصوتي من ناحية الاصوات الساكنة هو نفسه بالنسبة لهاتين النموذجين: اما الاختلاف بينهما يقوم علي الأصوات المتحركة للفعلين المذكورة في العربية برموز صغيره التي يمكن اضافتها اعلي او اسفل الحروف الساكنة(يقصد بذلك طريقة التشكيل .ان التنوع في غلبت وسيغلبون يبدو ثانويا : لقد لاحظ ثيودور نولدكه من قبل بأن هذا التنوع اسسه علماء اقل موثوقية و بأنه يشير الي الهزائم التي الحقها المسلمون بالروم والمقصود بها ما حدث في بيزنطة بعد موت محمد بن عبدالله.

نذكر عدم وجود أي ذكر للإمبراطورية الفارسية الساسانية في القران وهي القوة الأكثر تأثيرا في شبه الجزيرة العربية نحو أعوام ٦٠٠ وكذلك قوي أخري أقل قوة كحمير في جنوب شبه الجزيرة العربية واكسوم في افريقيا.

ان الإشارة لانتصار الروم هو استدعاء ضعيف جدا للحروب التي ادمت الشرق الأدنى ومنطقه المتوسط. ولقد دخل أكبر امبراطوريتين في المنطقة وهما البيزنطية والساسانية في قتال بلا رحمه. ان سقوط وقتل الامبراطور موريس في عام ٦٠٢ سمح لخثرو الثاني بغزو أرمينيا وسوريه بالكامل ثم بالاستيلاء علي القدس في عام ٦١٤ وكذلك اخذ السيطرة على مصر ما بين أعوام ٦١٦ و٦٢٠. بعد وصول هرقل الي العرش في عام ٦١٠ بدأت بيزنطة أيضا القيام بغزوات. بدون الدخول في تفاصيل النجاحات والنكسات غزى هرقل أرمينيا مع بداية عام ٦٢٢ واستعاد مصر وسوريا في عام ٦٢٩ بعد سقوط وموت خثرو الثاني في فبراير ٦٢٨ والذي أدى الى ازمه عنيفة للسلالة الحاكمة في بلاد الفرس.

يستدعى القران أيضا احداثا وشخصيات تاريخيه في عهد محمد. ونستطيع تقسيمها الى صنفين أساسيين .انهم كل احداث مسار محمد في مكة والمدينة وبما ان وفقا لإجماع المفسرين وعلماء الحديث بان العديد من الوحي

القرآنية تحمل إجابات مذهبيه وتشريعيه او تطبيقيه للمشاكل التي فرضت نفسها على النبي. هناك فرع من العلم القرآني والمسمى *أسباب النزول* هو فرع موظف للبحث وتحديد الظروف التي تلقى فيها النبي كل وحى على حده: يقوم هذا الفرع على الربط بين معطيات النص القرآني التلميحية والغامضة وبين شخصيات واحداث او مواقف معروفه عن طريق مصادر أخرى لعلم الحديث العربي الاسلامي . أي من هذه الاحداث لم يكن معروفا بأي مصدر مستقل عن علم الحديث. السؤال هنا بالنسبة للمؤرخ هو معرفه إذا كانت هذه الاحداث تأتى من مصادر مستقله عن القران او إذا كانت كلها ليست الا اسهاب بسيط. ان الطريقة الوحيد لتحديد هذا الامر تقوم على البحث عن احتماليه وجود الاحداث الهامة بشكل مؤثر في مصادر غير قرآنية.

اما الصنف الثاني للأحداث والشخصيات المذكورة في القران فيتواجد في التحذيرات التي وجهها ﷴ للكفار ذاكرا أسماء هؤلاء الذين عاقبهم الله على كفرهم (فرعون "فرعون ذو الاوتاد" – قارون– هامان– قوم نوح–قوم تبع– قوم لوط–أصحاب الرس–أصحاب الايكة–اقوام مدين وعاد وثمود) .وتذكر بعض السور الامثلة المرعبة لأشكال العقاب لدرجه وصلت الى سبع مرات في السورة رقم ٥٠. ويكون استدعاؤها لذلك الامر في كل مره بشكل مقتضب مع ذكر اسم الشخصية والاشارة الى القدر المأسوي. ان تحديد الاحداث بالتفصيل تقل أهميته في مثل هذا المحتوى. ما يهم بالنسبة للنص القرآني هو قوة الصورة والمعنى الذي يستدعيه.

ان بحثي هذا القائم على اربعه احداث وشخصيات من الصنف الثاني المشروح اعلاه (مصنفه بترتيب تاريخي تنازلي) يقترح تقديم بعض المعطيات الجديدة المأخوذة من اكتشافات النقوش الحديثة.

سيل العرم (سد مأرب)

ان تدمير سد مأرب مذكور في الغالب على انه واحد من الاحداث التاريخية النادرة جدا التي أشار اليها القران. في الواقع لم يشير القران الى حدث محدد ولكن يفسر بشكل بسيط خراب مأرب كتصوير للعقاب الإلهي الذي أصاب الشعوب الكافرة طبقا للشكل المعتاد المفسر لقصص العقاب الإلهي. هناك براهين متنوعة يمكن تقديمها في هذا الشأن كما ان الارتباط بين سد مأرب وسبأ هو أمر جدير بالملاحظة إذا وضع زمنيا في نهاية القرن السادس. وان التأكيد بان سبأ مشركه لا يتوافق مع كون الشرك مرفوض منذ أكثر من قرنين. في النهاية لا يبدو ان هجر السد قد وقع بالشكل الذي ترويه القصة القرآنية.

ان سوره سبأ تذكر سيل كارثي يجتاح الحديقتين السبئيتين:

١. لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
٢. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
٣. ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ

حتى وان كان النص القرآني لا يعطى أي اشاره طوبوغرافيه محدده فان التحديد التقليدي للعرم على انه سد مأرب (على بعد ١٢٠ كيلو متر شرق صنعاء في اليمن) يبدو مؤكدا. في المقام الأول يسمى سد مأرب *العرم* في المنقوشات القديمة. ثانيا النطاق الهائل الذي يرويه سد مارب والمقارب لعشره الاف هكتار في أكبر امتداد له، هذا الإطار ينقسم الى جزئين من الابعاد المجاورة: واحد يقع في شمال وادي ضانا والأخر في الجنوب. في النهاية لقد كانت مأرب عاصمه للسبئيون وتعبير سيل العرم الذى يعنى سيل سد مارب هو طريقه مجمعه للإشارة الى سيل حدث نتيجة سوء تشغيل. ان السيل في اليمن هو اقوى جريان للمياه الذي يغزو الوديان الجافه بعد مطر عاصف. ويجب تميزه عن جريان المياه الدائم المسمى بالغيل.

تذكر المخطوطات الحميرية أربع تدخلات على سد مأرب والتي تمتد نحو عام ٣٧٠ تقريبا ونوفمبر عام ٥٥٨. نستطيع إذا تحديد نهاية عمليه الري في مارب وهجر السد بعد عام ٥٦٠ تقريبا. الفترة الزمنية لما قبل عام ٦٣٢ تاريخ موت محمد تبين ان الإطار المحيط بمارب لم يعد يروي بعد بالمياه. هذا الإطار الزمنى يتوافق مع حدث تمزق مملكة حمير في الأعوام ٥٦٠. السورة ٣٤ يمكن ان تشير إذا الى حدث تاريخي. ان السيل الكارثي بالعرم هو عقاب من الله لسبأ الكافرة وذلك وفقا للنص القرآني. ان ذكر سبأ يبدو غريبا في نهاية القرن السادس او في بداية القرن السابع ذلك لان الكتلة القبلية التي كانت تحمل هذا الاسم كانت قد اختفت عمليا منذ قرون كثيره. لقد كانت سبأ اتحاد قبائلي واسع –لاعبا دور أساسي في أصول التاريخ بجنوب شبه الجزيرة العربية –في الفترة ما بين القرن الثامن والسادس ما قبل الميلاد. لقد سيطر ملوكها على ما يقارب اليمن بأكملها. وعاصمتها مأرب كانت تبدو مهد ثقافه جنوب شبه الجزيرة العربية. كما ان لغتها وثقافتها استخدمت كنموذج لجيرانها من ناحية شبه الجزيرة العربية ومن ناحية اثيوبيا. لقد ظلت سبأ بعد ذلك مملكة هامه ولكن في انخفاض. في بدأيه القرن الثالث الميلادي عاصمه جديده وهي صنعاء صاحبت مأرب. انها ترجمه رمزيه لواقع ان قبائل الجبال سيطروا على السلطة منذ قرنين على حساب شعوب البيد مونت. والحقت في النهاية المملكة الى حمير في الأعوام ٢٧٠. ويبدو انه حتى قبل هذا التاريخ لم تعد اللغة السبئية لغة مستعمله. ولم يبقى نحو عام ٣٠٠ من قبيله سبأ العظيمة الا مجموعة بسيطة مكونه من سكان مدينه مأرب. ولقد سمت المخطوطات هذه البقية من سبأ باسم «سبأ كهلان" لكى لا يوجد خلط مع مملكة سبأ اللامعة بالماضي.

من نهاية القرن السادس الميلادي وحتى بدء ظهور الإسلام سيطرت حمير على مجمل جنوب شبه الجزيرة العربية وجزء متغير من صحراء شبه الجزيرة العربية. لم يعد يظهر بعد اسم سبأ الا في تعبيرات رمزية مثل

الألقاب الملكية او يستعمل كإشارة لسكان مأرب. وفى حاله دراسة المخطوطات الملكية الكبيرة لحمير عن القرن الخامس والسادس فسنجد ان المكونات الأساسية للملكة تشمل حمير وحضرموت ورحبتان (الأراضي المرتفعة حول صنعاء) وبعد عام ٥٠٠ الحبشيين.

ان الشهادات عن سبأ كاسم للمنطقة ولسكان مارب ليست عديدة. فهي حوالي اربعه وكلها في المنقوشة الكبيرة لا برهه (أعوام ٥٣٥– ٥٦٦ تقريبا) ذلك الملك الحميري ذو الأصول الاكسومية. لقد علم ابرهه بان سد مأرب قد دُمِرَ وذلك عن طريق نداء المساعدة من سبأ. ولكي يظفر باليمن الشرقية حيث بدأت قبيلة كنده في التمرد (تسمى كيدات باللغة السبئية) فلقد نزل ممري سبأ الاثنين وعرف *بالناقل الشجاع* الذي مر من وادي السر (بنو حشيش) الى وادي حريب القراميش وذلك على بعد أربعين كيلو متر من شرق الشمال الشرقي لصنعاء وعلى بعد ٨٠ الى ٩٠ كيلو متر غرب مأرب. ولقد لقى تمرد قبيلة كنده دعما من امراء سبأ وصحراويي **موارت والتمامات والحنش ومرتد وحنف** ذو خليل. (يرجي التأكد من أسماء هذه القبائل المظللة فلم أستطع الوصول لها بشكل كامل وقمت بترجمتها كما هي مكتوبة وربما تكون مختلفة عن ذلك في العربية).

في النهاية يشير ابرهه الى اصلاح سد مأرب من خلال ملك حمير شرحبيل يعفور (نحو أعوام ٤٥٠–٤٦٨) قائلا (اود ان يعفور يكون قد أعاد الانشاء بالكامل مع سبأ والامراء)

هناك سبب اخر للشك في السمة التاريخية للنص القرآني ويكمن في كون سكان مأرب قد رفضوا الشرك كبقية مملكة حمير نحو أعوام ٣٨٠ ميلادية. فان المعبد الكبير المخصص للرب *المقه* لم يعد مكانا يتردد عليه الناس. وتشير كل المنقوشات الاحقه ان الحميريين (او على الأقل بالنسبة للنخبة) ينتمون الي مذهب توحدي مستوحى من اليهودية ثم من المسيحية بعد ازمه أعوام ٥٢٠. إذا سكان مارب ليسوا "كافرين"

إذا كان القران يرى في دمار سد مأرب نتيجة لكفر سبأ ولم يشير الى حدث واقعي. والملاحظ ببساطة لكل من زاروا منطقه مأرب انها قد رويت وزرعت في الماضي بفضل السد والان هي منطقه كبيره مهجورة للنباتات البرية. وهذا السقوط تم تفسيره على انه عقاب إلهي وتحذير للكفار تماما مثل اختفاء العديد من شعوب الماضي.

ان الشعب المعاقب منطقيا هو سبأ. والقران يعطى بنفسه سبب لذلك. سوره أخرى وهي سورة النمل تحكى ان شعب ملكه سبأ هو شعب وثنى:

١. فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ٢٢
٢. إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٣
٣. وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٤

نرى ان – في جذور الإسلام – القصص الأسطورية التي طُوِرَت حول ملكه سبأ تركز على تذكر الاحداث التاريخية الثابتة في الذاكرة التاريخية. نضيف الى ذلك بان لا احد من علماء الحديث العرب المسلمون يقر وجود مملكة سبأ قبل حمير وأن الأسماء المعطاة للأثار القديمة المدمرة بمأرب ترتبط بملكه سبأ(المسماة بلقيس في علم الحديث العربي الإسلامي) وذلك مثل مسميات (محرم بلقيس) ، (عرش بلقيس) او (مسجد سليمان ابن داود) . ان تحديد هوية سكان مأرب من خلال الأمور المتعلقة بملكه سبأ كان وسيلة عملية جدا للربط بالتاريخ النبوي. يمكننا الافتراض بان عملية التحديد هذه ترجع الى اليهود في العصر الذي انضمت فيه حمير الى اليهودية التوحيدية.

يتبقى سؤال أخير: هل كانت نهاية سد مأرب مفاجئة وقاسيه؟ يشير القران الى ان سد مارب قد تحطم بعد ان امتلأ بالأمطار الموسمية وأدى ذلك الى موجه عارمه اجتاحت الجزئين المرويين بالمياه. في الحقيقة وحتى إذا

أدى تحطم السد الي حدوث تسونامي فإنها لم تكن لتدمر الا المناطق القريبة من السد وليس كل المناطق المروية بالمياه. وإذا كانتا "الحديقتين" جدبتان في عهد محمد فان ذلك ليس بسبب الدمار الذي سببه السيل ولكن بسب انهم لم يعد يرووا بالمياه بعد.

ولكن هل يمكننا تحديد على الأقل بان السد قد تحطم فجأة؟ هناك نموذجين يمكن اقتراحهما لهجر السد. الأول هو تحطم مفاجئ مثلما ذكرته اثنتين من المنقوشات. النموذج الثاني هو تدهور بطيء لمنظومة السد بسبب انه أصبح من الصعب تثبيت الأدوات اللازمة لإصلاح ما تم تدميره خلال الموسم الأخير للأمطار. يصعب الفصل في الامر من خلال هذين النموذجين حتى وان كان هناك ملاحظتين يعطون الأولوية للنموذج الثاني. الملاحظة الاولي هي ان مستوي الطمي في منبع السد يتطابق مع قمة جدار الحفظ: يمكن ان نستخلص من ذلك ان السد قد تحطم بعد ان امتلأ بشكل كبير. الملاحظة الثانية هي ان الشعر الجاهلي لم يقدم اي إشارة الي السد وربما كان هذا سيحدث لو تحطم السد فجأة وكان سيعطي لهذا الحدث توضيح كبير.

هناك ملحوظة أخيرة يمكن اضافتها وهي ان الحكايات المنسوجة حول تشتت قبائل جنوب شبه الجزيرة العربية والتي تقدم نفس علامات النص القرآني تعد هذه الحكايات بشكل واضح اسهاب بسيط لهذا النص القرآني. ومهما كان الامر فيبدو أكيدا ان القران لا يمكن استخدامه كنص قام بتوثيق التحطم الأخير لسد مأرب.

"أصحاب الفيل"



لقد استدعي القران من خلال قصة "أصحاب الفيل" حدث تاريخيا سابق من الناحية الزمنية بشكل قريب من عهد محمد وهو الحدث المعروف بحملة أبرهة –الملك الاكسومي لحمير– ضد مكة. لقد اعتقدنا على مدار خمسين عاما بان هذا الغزو تم ذكره في منقوشة. اما اليوم فالمؤكد هو ان ذلك لم يحدث. ومع ذلك فانه من خلال معطيات دراسة النقوش العربية تعتبر حملة مثل هذه امر مصدق حدوثه تماما. ومن الممكن أيضا تأريخه بعد عام ٥٦٠. وعلى الجانب الاخر فان صور للفيل مكتشفة حديثا في منطقة نجران تتوافق مع افتراض حملة أبرهة على مكة على انه حدث تاريخي.

وفقا لسورة "الفيل" الغامضة بشكل كبير فان افراد يسمون "أصحاب الفيل" أقاموا حيلة قد فشلت. ولقد عاقبهم الرب بأن أرسل عليهم طيراً كانت تقذفهم بحجارة من طين:

١. أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ
٢. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ
٣. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ
٤. تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ
٥. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ

تكمن مشكلة إضافية في علمية تفسير النص: ان سورتي "الفيل" و"قريش" –ومعنا ثلاث نسخ لهم– من الممكن ان يشكلوا كما هو موجود في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة وليس اثنتين.

ينتمي تعبير "أصحاب القيل" الي قائمة طويلة من التعبيرات القرآنية المكونة من كلمة "أصحاب" ويتبعها المفعول. تعني كلمة "صاحب": "رفيق –صديق" ولكنها مستخدمة أيضا بشكل كبير لتعني " من يتواجد في هذا المكان او ذاك او برفقة هذا الشيء او ذاك" وكذلك ما نسميه "الصاحب". يمكننا ترجمتها برجل ال....، ناس ال...اي الذي ينتمي الي هذا الشيء او ذاك.

وفقا للمفسرين وعلماء الحديث العرب المسلمون بالإجماع فان هذه السورة هي تصوير لحملة الملك أبرهة على مكة وتصوير للعقاب الإلهي الذي أصابه. هذا الملك هو الشخصية المركزية للعديد من الحكايات. ففي اثناء غزو الاكسوميين لحمير قاد جزءِ كبير من الفرق التي نزلت شبه الجزيرة العربية. وتمرد بعد وقت قليل. ولقد تم تسوية الصراع بمعركة فردية مع قائد الجيش الاكسومي. وانتصر أبرهة بفضل حيلة واخذ السلطة في شبة الجزيرة العربية ولكنه فقد انفه في هذه المعركة ومن هنا جاءت تسميته بالأشرم (صاحب الانف المقطوعة).

ان صورة أبرهة التي ينقلها علم الحديث هي صورة متباينة بشكل كبير. فهي تقدم الكثير من الصفات السلبية. فهذا الملك قاد حملة دَنِسة ضد مكة وهذا ما أشارت اليه سورة الفيل. ونذكر أيضا انه استولي على زوجة أمير يمني ومنح لنفسه ايضا الحق في قضاء اول ليلة مع العرائس. لكن الصفات الإيجابية فيه كثيرة اضا. انه ملك كبير ذو سيطرة تمتد على شبة الجزيرة العربية كلها حيث يتدخل في الشئون الداخلية للعديد من القبائل وحتي تلك المجاورة للعراق. يمارس السلطة باعتدال. كما ان له تقدير كبير حيث يحمل العديد من أطفال اليمن اسمه وخاصة لقبه الحبشي. وتذكره أيضا عائلة ارستقراطية كبيرة من اليمن في القرون الوسطي بين أسلافها.

من الناحية الدينية فان علم الحديث يعرف ان أبرهة مسيحيا وكذلك أنصاره بما فيهم من كانوا في صحراء شبة الجزيرة العربية كانوا أيضا مسيحيون([1]). لم يكن هذا الاعتقاد المسيحي خيار شخصيا بسيطا. كانت المسيحية هي الدين الرسمي لحمير تحت حكم أبرهة. ويتضح ذلك لاسيما من خلال انشاء كنيسة رائعة في

[1](١)يذكر علم الحديث اثنين من الساده العرب قد تم تنصيبهم من جانب ابرهة. وهم : "محمد بن خزاعة السلامي" علي رأس "مضر"(اتحاد قبائل شمال غرب الجزيرة العربية) و"زهير بن جناب " سيد "كلب" علي رأس قبيلتين من شمال شرق الجزيرة العربية وهما قبيلتي "بكر" و "تغلب". ويشير علم الحديث بالتفصيل الي ان محمد بن خزاعة كان مسيحيا وربما نفس الامر بالنسبة لزهير بن جناب والذي ينسب له تدمير محراب "بُسْ" الخاص بإلهه تسمي "عزى" بعد انشائه بفترة قصيرة.

العاصمة صنعاء بمساعدة فنانون بيزنطيون في اعمال الرخام والفسيفساء. أراد أبرهة ان يجعل من هذه الكنيسة مركز الحج الأساسي في شبة الجزيرة العربية ولكي يزيح الكعبة من مكانتها.

ولكي يغادر أبرهة في حملة ضد الكعبة تذرع بالتحريض والذي لدينا عنه روايتين مختلفتين. تروي بعض الأحاديث بان عرب الحجاز المنحدرين من قبيلة متحالفة مع مكة كانوا سيدنسون كنيسة صنعاء بتلطيخها بالبراز. وفقا لأحاديث اخري فان اهل مكة كانوا سيهاجمون ويأخذون في نجران حفيد أبرهة الذي مازال في رحلة العودة من الحج([١])من مكة وكانوا سينهبون أيضا كنيسه.

قرر ابرهة العائد غاضبا بسبب هذا التحريض ان ينتقم من اهل مكة وان يدمر الكعبة. جمع اذن جيشه المكون من الحبشيين والحميريون والعرب ووضع فيلا في طليعته. حين وصل الي أطراف مدينة الطائف والتي استسلمت قبيلتها بدا يتوجه نحو مكة. حاول عبد المطلب جد محمد واحد كبار مكة ان يتفاوض مع أبرهة وعلى ما يبدو كان ذلك لمصالحه الشخصية. لكن المناقشات لم تكتمل. ترك اهل مكة مدينتهم من اجل ان يحتموا في الجبال. وحينها حدثت المعجزة: ان الفيل الموجود على رأس الجيش يرفض التقدم. وجيش أبرهة تم تدميره وقتله بطير يقذف عليهم حجارة.

يروي بعض العلماء أحاديث اخري وقطعا أكثر واقعية. وهي مرض غامض انتشر في الجيش بشكل مدمر. في الواقع هذا هو عصر طاعون جستنيان المشهور: منذ عام ٥٤١ (تاريخ ظهوره في مصر) ضرب هذا

[١](١)وفقالعلم الحديث فان شخصيات عديدة يحتمل انها كانت مسيحية قد شاركت في بعض شعائر المشركين مثل الحج وتقديم القربان الثمينة. ويحكي علم الحديث بأن الكعبة كانت مزينة بصور مستوحاة من المسيحية. ففي وادي "المحسر" القريب من المزدلفة ومني كان المسيحيون يعتبرون ذلك المكان هو مكان تجمعهم. وان كانت هذه الحكايات ليست مؤكدة لكن ما يبدو قريب من الحقيقة هو ان المعابد كانت تستقبل الاتباع من كل الديانات. ويمكننا ان نعتقد ان افراد من نفس القبيلة او بنفس اللغة كانوا يمارسون بشكل جماعي بعض الشعائر حتي ان كان البعض قد دخل اليهودية او المسيحية.

الطاعون بشكل متتالي البلاد المتنوعة لشرق البحر الأبيض المتوسط وفي اليمن ما بين أكتوبر ٥٤٧ ويناير ٥٤٨. اجبر هذا الطاعون أبرهة على تعليق الاعمال الدائرة في سد مأرب.

وما أذهل من عاصروا هذه الحملة هو ان هذا الجيش يوجد في طليعته فيل والذي كان يسمي "محمود". اذا كان الفيل معروفا وقتها في منطقة الشاطئ الافريقي للبحر الأحمر سواء خادما او حيوان بري (هناك سفير بيزنطي مرسل الي اكسوم نحو عام ٥٣٠ مر بقطيع من خمسة الاف رأس) فهذا الحيوان علي الجانب الاخر مجهول تماما في شبة الجزيرة العربية. يمكن إذا ان ينشر الفيل الرعب بحجمه وشكله ولكن أيضا يمكن ان يثير الاعجاب بما يتطلبه من اعداد كبير لطعامه وشرابه في الصحراء. لقد أصبح الفيل "محمود" مرجعا في حوليات مكة. ليس فقط الغزو الحميري هو المسمى وحده بعام الفيل ولكن شكل هذا العام أيضا نقطة البداية لتقويم مكي تم استخدامه على مدار عشرات السنين.

كنا نعتقد انه من السهل وضع تاريخ محدد لعام الفيل. لكن الامر ليس كذلك كما أشار اليه العالم الإسرائيلي اوري روبين بان التسلسل الزمني لمكة تمت اعادت تكوينه بالرجوع الي الاحداث البارزة في حياة محمد والتي تاريخها–المنسيَ–تمت إعادة تكوينه باستخدام فترات لمدة رمزية. الاحداث المأخوذة في الاعتبار هي ميلاد محمد، بداية مهمته النبوية، الهجرة وموته. سيتم تنظيم التسلسل الزمني لحياة محمد علي أساس بعض القواعد الرقمية. القاعدة الاولي هي الرقم أربعين المستعار من سيرة موسي الذي بدأ مهمته في سن الثمانون عاما ومات على سن مائة وعشرون عاما. لكن هذه القاعدة بالنسبة لمحمد مقسمة الي جزئين وبالتالي فهي عشرون سنة. لقد شرح محمد لابنته قائلا: كل نبي يحصل على نصف العمر الذي أدركه النبي الذي سبقه: لقد أرسل عيسي ابن مريم كنبي لمدة أربعين عاما وانا أرسلت لأكون نبي لمدة عشرين عاما. وبتطبيق هذه المبادئ فان محد بدأ نشاطه النبوي في سن أربعون عاما ومات في سن الستون عاما. قاعدة ثانية مستخدمة

في تكوين التسلسل الزمني لحياة محمد وهو الرقم عشرة. وتستخدم هذه القاعدة في تحديد مدة النشاط النبوي لمحمد في مكة (عشر سنين) وفي المدينة (عشر سنين ايضا).

يتبقى الان ربط التسلسل الزمني المكي بهذا التسلسل الزمني النبوي. وللقيام بهذا استخدم البعض رقم رمزي أخير وهو الرقم سبعون وبحثوا في تحديد الحلقة البارزة في حياة محمد والتي حدثت سبعون عاما بعد عام الفيل. ولقد اقترحنا تاريخين: بداية المهمة النبوية او الهجرة. ينتج من ذلك تاريخين لعام الفيل: ٥٥٢ او ٥٤٢ بما ان الهجرة مؤرخة بشكل مؤكد بالعام ٦٢٢. ولكن هناك نظام زمني اخر فرض نفسه في النهاية. فكما يشير عام الفيل الي بداية قصة نجاح سيصنعها المكيين علي مدار ثلاثة أجيال وسيادة الإمبراطورية الممتدة من شواطئ الاطلنطي الي اسيا الوسطي، فيجب ان يتوافق عام الفيل ايضا مع حدث أساسي يشير الي بداية دورة جديدة من تاريخ العالم. حدث مثل هذا لا يمكن ان يكون الا ميلاد محمد. اذا كان الوحي الأول قد نزل بعد أربعون عاما من عام الفيل والهجرة بعد ذلك بعشرة أعوام فنحصل اذا علي تسلسل زمني مقبول بشكل عام:

٥٧٢: عام الفيل وميلاد محمد.

٦١٢: عام بداية المهمة النبوية لمحمد

٦٢٢: عام الهجرة

٦٣٢: عام موت محمد

يمكن أن نسأل أنفسنا في أي مقياس يمكن ان يستخدم المؤرخون هذه الأنظمة الزمنية التي تقوم على الاعتقاد بان التاريخ هو انعكاس لخطة الهية. تختلف الآراء. بالنسبة للبعض من الأفضل رفضها كليا بما ان أسسها ليست منطقية. وبالنسبة لأخرون فان هذه الأنظمة التي تستخدم بعض الادوات التاريخية هي لم تعيد تنظيم

الا العناصر الضرورية لأحداثها. يمكن ان نفترض اذن بانها تحتفظ ببعض المعطيات الاصلية لاسيما ترتيب تتابع الاحداث والي حد ما الفترات التي تفصلها.

دائما نمتلك علامات بارزة لتأريخ عام الفيل وهي منقولة دائما عن طريق علم الحديث العربي الإسلامي. تقدم مصادر متنوعة موت أبرهة على انه عقاب إلهي تلي مباشرة حملته على مكة. يقول ابن إسحاق ان أبرهة فقد في طريقه للعودة أصابعه الواحد تلو الاخر وعندما وصل الي صنعاء انفجر قلبه ومات. بالنسبة للبخاري فأبرهة لم يصل اليمن ولكن مات في طريق العودة بالقرب من مكة في مكان يسمي *ذات عشش*.

ان دافع العقاب الالهي يمكن ان يدعو الي رفض هذه الأحاديث كونها تعد اعتذارية. ومع ذلك يشمل هذا الدافع معطي زمني مقبول: هو ان موت أبرهة حدث بعد وقت قليل جدا من الحملة. اذن الفشل في حملته ضد مكة قد وقع في نهاية فترة ملكه. ان المصادرة الخارجية خاصة الغنية تكمل وصف الملك أبرهة. فندين بالفضل للمؤرخ البيزنطي بروكوبيوس – المقرب جدا من السلطة وعادة مطلع جدا على الأمور– بانه من أمدنا ببعض التفاصيل الخاصة بحياة ابرهة. أبرهة مسيحي ووِلِدَ عبدا واصله ينحدر من الميناء الاكسومي بعدوليس. وعندما قاد الجيش الذي احتل اليمن قام بعزل الملك الذي وضعه النجاشي علي العرش. ولم يتأخر رد فعل النجاشي حيث تم ارسال حملتين عسكريتين عقابيتين لطرده ولكنهم فشلوا فشلا ذريعا. بعد موت النجاشي تم حل هذا الخلاف مع خليفته وتم بذلك تعزيز سلطة أبرهة بشكل نهائي. تقع كل هذه الاحداث ما بين عام ٥٣١ وبداية الأعوام ٥٥٠ (تاريخ نشر كتاب بروكوبوبيوس المعنون *"حروب"*).

وفقا لبروكوبيوس فان ابرهه لم يكن حليفا موثوق به. فعندما اعتمد عليه جستنيان (امبراطور من ٥٢٧ الي ٥٦٥) في مهاجمة الفرس عن طريق الجنوب وكذلك تهدئة الفرق البيزنطية في سوريا، من جانبه وعد ابرهه بفعل الكثير ولكن لم ينفذ شيئا ولم يغادر في حملة عسكرية الا مرة واحدة وعاد سريعا من حيث اتي.

نتعرف أيضا على ابرهه وشخصيته بفضل سبعة منقوشات والتي تؤرخ ما بين أعوام ٥٤٨ و٥٦٠ . المخطوطة الأبرز فيهن توضح بشكل كبير مدي تعزيز سلطة ابرهه. مؤرخة بالعام ٥٤٨ وتحكي عن الحد من التمرد في حضرموت وتحيي أيضا ذكري عملية الإصلاح الهامة لسد مأرب وتتحدث بشكل عابر عن وضع كنيسة في مأرب وإقامة مؤتمر دبلوماسي في نفس المدينة في خريف عام ٥٤٧ بمشاركة ممثلي روما واكسوم والفرس وثلاثة امراء عرب.

وثيقة اخري هامة جدا (مريغان ١ = ريكمنس ٥٠٦) وتحي ذكري رابع حملة لأبرهة في صحراء شبه الجزيرة العربية. لقد نحتها الملك في سبتمبر عام ٥٥٢ في ابار مريغان علب بعد ٢٣٠ كم من شمال نجران وذلك ليحتفل بأول انتصار في وسط الجزيرة العربية. ونتسأل هنا عن إمكانية تحديد هذه الحملة المذكورة في هذا النص بالنظر الي تلك الحملة التي فشلت امام مكة. في وقت ما كانت الإجابة إيجابية. الدليل القطعي تم عرضه في عام ١٩٦٥ علي يد العالم الإسرائيلي مئير يعقوب كيستر. منقوشة مريغان ١ = ريكمنس ٥٠٥ مؤرخة بعام ٥٥٢ ميلاديه. وهذا يعد واحدا من التواريخ التي ينسبها علم الحديث العربي الإسلامي الي عام الفيل. وقد قال عالم الحديث المشهور هشام ابن الكلبي الاتي:

"كان الاحصاء الزمني لقريش قبل المرحلة الزمنية للنبي يبدأ من عصر الفيل. وما بين عام القيل وحرب الفجار يعد بأربعين عاما. وست سنوات ما بين الفجار وموت هشام بن المغيرة. تسع سنوات بين موت ابن هشام وبناء الكعبة. وخمسة عشر عاما بين بناء الكعبة وهجرة النبي الي المدينة." (زبير بن هشام "جمهرة" ص.٦٦٨).

المدة ما بين عام الفيل والهجرة هي ٤٠ + ٦ + ٩ + ١٥ = ٧٠ عاما. فالهجرة كانت في عام ٦٢٢ وعام الفيل عام ٥٥٢. هناك برهان اخر قدمه جاك ريكمنس ويبدو انه يتوافق مع تحديد حملة عام ٥٥٢ على انها

حملة الفيل: بنو عمرو الذين قام ابرهه بحملته ضدهم يشكلوا مكون قبائلي كبير في الجزيرة العربية الغربية وهم بنو عامر بن صعصعه.

ان العلاقة بين هاتين البرهانين تبدو اليوم مشكوكا فيها. وكما اشرت اليها من قبل فان تاريخ عام الفيل المأخوذ عن ابن الكلبى ليس له أي قيمة تاريخيه: فهي عملية قائمه على احداث وفترات زمنيه رمزيه. يمكن ان نضيف بانه لم يحدث ابدا ان أحيت منقوشة ذكرى فشل ما فهي اداة للدعاية. لهذين السببين يبدو غير معقول بشكل كبير ان تحي منقوشه مريغان ١ = ريكمنس ٥٠٦ ذكرى حمله الفيل . ان تحديد هوية بنو عمرو علي انهم بنو عامر ابن صعصعه فهذا لا يتوافق مع قصه العمليات العسكرية التي تشير بشكل واضح ان بنو عمرو هم سادة "معد" في وسط الجزيرة العربية او السلالة الكندية لعلماء الحديث العرب والذين ملوكهم هم على التوالي "حجر آكل المرار بن عمرو" و "عمرو بن حجر" و" الحارث الملك بن عمرو"

وعلى عكس جاك ريكمانز فان المنقوشة مريغان ١ = ريكمنس ٥٠٦ لم تذكر عمليات عسكريه حمريه غرب ضد الجزيرة العربية ولكن ذكرت فقط حمله في وسط الجزيرة العربية.

ان اعاده تفسير مريغان ١ = ريكمنس ٥٠٦ لا يقوم فقط على هذه البراهين: فهو مؤكد عن طريق منقوشة مكتشفه في ابريل ٢٠٠٩- مريغان ٣- ودائما بالقرب من نفس الابار. هذه المنقوشة التي نحتها الملك تبرز اعاده تكوين السلطة الحميرية في وسط الجزيرة العربية وتحكى طرد الأمير عمرو ابن المنذر الذي كان يحكمها وتسرد أيضا ست مناطق وقبائل قد استسلموا ويتواجدوا في وسط الجزيرة العربية وما ورائها مشكلين ربط ما بين الخليج العربي الفارسي والبحر الأحمر. الاسم الأكثر دلاله فلى هذه القائمة هو اسم يثرب حيث

أنشأ محمد بعد ٧٠ عام امارته الثيوقراطية([1]). ان المنقوشة ليست مؤرخه ولكن لا مجال للشك بانها تكمل المنفوشة السابقة. ومن المؤكد على الجانب الاخر بانها سابقه لصيف عام ٥٥٤ ذلك التاريخ الذي خلف فيه الأمير عمرو ابيه على عرش الحيرة.

ان اخر إثر زمني على حكم ابرهه هي جزء من منقوشة رائعة من ثلاث تسجيلات وتحكي ذكرى انشاء مبنى بأدوات مكلفه (التي تأتى بشكل واضح من شمال غرب اليمن والنص لم يشير الى أصل الأيدي العاملة ان لم اكن مخطأ). تذكر هذه المنفوشة بشكل عابر تاريخ ٥٥٩ –٥٦٠. ومؤلف هذا النص هو بشكل محتمل الملك ابرهه نفسه وهذا ما توحيه جوده النص وطبيعة نقشه. على الجانب الاخر أيضا كانت المنقوشات في هذا العصر كلها تقريبا ملكيه. البناء الذي تحيي المنفوشة ذكرى تأسيسه يمكن ان يكون كنيسه ابرهه المعروفة في صنعاء. يبين العالم الأزرقي روعه هذه الكنيسة المسماة بالقليس في علم الحديث العربي الإسلامي ويشرح بالتفصيل مدى ثراء الأدوات المستخدمة في انشائها: ولكن لا يمكن ان نستبعد ان النص يحيى ذكرى انشاء قصر غمدان.

تبين المصادر الدليل القاطع على ان ابرهه هو شخصيه تاريخيه من بينها منقوشات مريغان ١ = ريكمنس ٥٠٦ ومريغان ٣ والتي توضح انه مع بداية عام ٥٥٢ تحكم ابرهه في كامل شبه الجزيرة العربية. هذا المحتوى السياسي يجعل حمله ابرهه في غرب الجزيرة العربية ضد مكة امر معقولا تماما وكون ان علم الحديث العربي الإسلامي هو وحده من احتفظ بذكرى الحملة فذلك لا يشكل أي صعوبة ذلك لان النجاحات

[1](١)بالإضافة الي يثرب فهناك مناطق وقبائل اخري قد استسلمت وهم "حجر" و"الخت" في منطقة الخليج العربي الفارسي وكذلك "طيء" في وسط الجزيرة العربية و "جذام" في شمال غرب الجزيرة العربية.

وحدها هي المسجلة في المنقوشات. اما بالنسبة الى كتب "*حروب*" لكاتبها بروكوبيوس والتي توقفت في أوائل أعوام ٥٥٠ فهي لا تتناول نهاية حكم ابرهه.

يتبقى لنا دراسة إذا كانت سورة الفيل تشير الى حمله ابرهه على مكة. وهناك تفسيرات في هذا المجال. وكما لاحظه العلماء الجدد منذ تاريخ طويل بان النص القرآني الذي لا يذكر ابرهه ولا الكعبة فهو لا يشتمل على أي اشاره لمكان او لتاريخ. هذه السورة تشير فقط الى تدخل إلهي إعجازي لمعاقبه أصحاب الفيل. فذكر كلمه أصحاب بصيغه الجمع في السورة يشير الى عدد كبير من الأشخاص وليس ابرهه وحده. لقد افترض في البداية الفريد لويس دي بريمار ان أصحاب الفيل يمكن ان يشيروا الى محاربي القادسية. ثم بعد ذلك بقليل أشار الي ان سورة الفيل مستوحاة على الأرجح *من "مكابيون الكتاب الثالث"* والمشار فيه الى ان ملك مصر بطليموس الرابع قد قام بإعدام يهود الإسكندرية بان دهستهم أفياله في ميدان الخيل بسبب انهم رفضوا التضحية للأصنام. لكن اليهود تم انقاذهم بفضل صوات رجل قديس بينما هلك الأشرار ودهستهم الافيال. أصحاب الفيل كانوا اذن بطليموس الرابع وقومه.

من المحتمل جدا على ما يبدو ان سورة الفيل تشير الي هذه القصة. يختلف عدد الافيال (كثيرين في مكابيون ٣/ وفيل واحد في القران) وعقاب الأشرار أيضا مختلف. من ناحية اخري فلا شيء يوحي بان القصص الأسطورية في مكابيون ٣ كانت مألوفة في الجزيرة العربية ولاسيما بالنسبة لجمهور محمد الذين استمعوا اليه. يمكن ان نضيف بان بعض التفاصيل تبين ان حملة ابرهة وكما يرويها علم الحديث ليست تكوينا خرافيا مشتق من نص قراني وحيد. في البداية، ان حملة الفيل قد ذكرت في الشعر الجاهلي بمعطيات غير قرانيه. واحدة من تلك المعطيات يمكن اثباتها.

منذ بداية اعمال ثيودور نولدكه وجونار اولندر نتوافق على النتيجة بانه من اجل إعادة تنظيم التاريخ من خلال المعطيات العربية الإسلامية فان الشعر الجاهلي يقدم المعطيات الأكثر تأكيدا. طول البيت الشعري والقافية التي تحفز التذكر هؤلاء يمثلوا عقبه في معالجة النصوص حتى لو كان من السهل استبدال اسم علم باخر بنفس التركيب. لقد وضح يوري روبين بشكل محدد بان حملة ابرهه قد ذكرت في أشعار والتي يمكن اعتبارها اشعار جاهلية. فلقد كتب ابوقيس صيفي بن الاسلت الانصاري يشكر الرب لتقديمه المساعدة يوم حملة فيل الحبشيين. فعلي الرغم من الضرب بالسوط او باستعمال سكين الا ان الفيل رفض ان يتقدم واستدار نحو الطريق التي اتي منها. هذا عندما أرسل الرب ريح تبعها هطول للأحجار. الملك هذا يسمي بأبو يكسوم. هذا اللقب ليس قرآنيا ويؤكد بان علماء الحديث استعملوا مصادر مستقلة. فمنقوشة قديمة توضح ان ابرهه كان لديه ابن يسمي اكسوم. شاعر اخر هو طفيل الغنوي يشير الي مكان قريب من مكة حيث عصي فيه الفيل أوامر أسياده.

يلاحظ يوري روبين ان لغة هؤلاء الشعراء تتميز عن لغة القران من حيث المعجم والأسلوب. فهو يفترض بان قصة جاهلية قد روت حكاية عن ملك يسمي أبو يكسوم أراد مهاجمة مكة ومعه فيل لكن الفيل وبالقرب من هدفهم رفض التقدم وتمت هزيمة الملك وطرده بفضل معجزة قد حدثت. والقران بدوره يشير الي هذه القصة ويعيد صياغتها وفقا لمخطط العقاب الإلهي. ان سورة الفيل وعلى الرغم الصياغات الغامضة فيها الا انها تشير بشكل كبير الي حملة ابرهة ضد الكعبة بمكة.

من بين التفاصيل ذات الدلالة، يمكننا النظر الي الموقف الغامض لعبدالمطلب. فاذا كان علم الحديث العربي الإسلامي قد استنتج من كل ذلك حملة ابرهة ضد مكة فان ذلك لتوضيح جزء غامض من القران او لإثبات مدي ازدهار المعبد المكي(الكعبة) فان علم الحديث كان بالتأكيد على النحو الاخر سيكبر من دور عبد

المطلب جد محمد. فشخص مثل عبد المطلب ينحدر من نفس أصول محمد لا يمكن الا ان يكون شخصا لا مجال للشك فيما يخص رغبته في الدفاع عن المعبد. بينما الامر ليس كذلك. فعبدالمطلب كان يهتم بمصالحه الشخصية قبل أي شيء. ونستطيع من جديد كشف هذه التفاصيل من مصدر مستقل عن القران.

في الختام، ان حملة الفيل هي حدث تاريخي بشكل محتمل والتي يبدو ان علم الحديث العربي الإسلامي يحفظ ذكراها بشكل محدد بتنقيباته ومعالجاته وتناقضاته. إذا كانت حلقات متنوعة لهذه الحملة عبارة عن اسهابات بسيطة للنص القرآني فان الكثير من التفاصيل تأتي بالتأكيد من مصادر اخري. يمكن ان نضيف بان فشل الحملة يقدم تفسيرا مقبولا لسيادة مكة في نهاية القرن السادس الميلادي. ليس هذا كل شيء. ففي نوفمبر ٢٠١٤ قد اكتشفت البعثة الاثرية المشتركة الفرنسية السعودية في نجران ثلاث منحوتات صخرية تبين فيل مع فياله على بعد عشرة كيلومترا من ابار حمي (توجد علي بعد تسعون كيلومترا من شمال الشمال الشرقي لنجران). لقد اختفي الفيل في هذا البلد الصحراوي منذ وقت طويل جدا. وليس هناك مجال للشك بان المنحوتات تبين فيلً قد مر في هذه المنطقة واثار فضولا واسعا([1]). بدون التأكد المطلق من ان هذا الفيل هو فيل ابرهه يظل هذا الافتراض مرجح جدا. ان الجيوش الوحيدة الممكن قيامها باستعمال الفيل في مواكبها في منطقة نجران كانت جيوش الفرس الساسانيون في نهاية القرن السادس الميلادي وجيوش الاكسوميين([2]) في القرن الثالث والقرن السادس الميلاديان. يمكننا بالتأكيد استبعاد الساسانيون وذلك لان علم الحديث المطلع جيدا على العصور القديمة البعيدة لم يثبت ان الساسانيون استخدموا الفيل في شبة الجزيرة العربية. اذن ذلك

[1] (١) نفس التفسير بلا شك بالنسبة لنقش الفيل المكتشف في "العلا" في شمال غرب الجزيرة. نفترض في هذه الحالة بأن الفيل قد صاحب جيشا اتي من مصر في العصر البطلمي حتي وان كان لا يوجد أي مصدر يحكي عن مثل هذه الحملة.

[2] (٢) لم تسمح الاعمال النحاسية ولا النصوص ولا حتي النقوش المجاورة في وضع تاريخ محدد. وليس ممكنا اعتبار وجود علاقة مؤكدة بين الافيال والنقوش المجاورة.

الفيل المنحوت صخريا في نجران هو فيل اكسومي. وبلا شك يمكن تأريخه باحتلال الاكسوميون لنجران في القرن الثالث ولكن حكم ابرهه في القرن السادس يبدو هو الاحتمال المفضل لتاريخ ذلك الفيل بما ان علم الحديث سجل ذكري مرور الفيل بنجران في هذا العصر.

في النهاية، علي الرغم من ان النص القرآني لا يحتوي علي أي معطي واقعي محدد الا ان الاحتمال المرجح جدا هو ان سورة الفيل تشير الي حملة ابرهه وتظل هذه السورة بارزة بفضل ذكرها الفيل: اذن "أصحاب الفيل" هم ابرهه وجيشه.

تُبَّع

لقد ذكر القران مرتين *قومتُبَّع*" من بين الكفار الذين ينكرون البعث. وفقا لإجماع علماء الحديث العرب المسلمون فان كلمة*تُبَّع*كانت الاسم العام لملوك حكير كقول "قيصر" لأباطرة الروم او كقولنا "فرعون" لملوك مصر. ولقد استخدمت المصادر الغربية على نفس النموذج مسميات "كسري" للملوك الساسانيون وأيضا "النجاشي" لملوك الحبشة. في الحالتين "قيصر" و"كسري" فان هذه المسميات تأتي من اسم يحمله ملك مميز. اما في الحالتين الآخرتين فهما مشتقون من لقب. ولم يشمل علم دراسة المنقوشات الجاهلية على أي إشارة تسمح بافتراض ان ملوك في مملكة حمير يشار إليهم بلقب*تُبَّع*. ومع ذلك فان هذه الكلمة هي سابقة للإسلام والقران من الناحية الزمنية بما انها تتواجد في بعض الاشعار القديمة جدا ولكن يظل أصلها غامضا. قد تكون هذه الكلمة مشتقة من اسم كائن اسطوري في صحراء الجزيرة العربية.

يظهر "*قومتُبَّع*"*في* مناسبتين في سورتين من العصر المكي يتناولون البعث. في السورة الاولي وهي سورة الدخان الآية ٣٦-٣٧ ومع ذكر لفرعون أيضا والذي يعتبر النموذج الأبرز للكفار الذين ينكرون البعث والذي اهلكه الرب. في السورة الثانية وهي سورة ق الآية ١٣-١٤ حيث تتسع فيها قائمة الكفار الذين انكروا البعث بالإضافة الي فرعون و *قومتُبَّع* حيث يوجد خمسة أسماء إضافية في هذه القائمة: قوم نوح، أصحاب الرس، قوم ثمود، قوم عاد، أصحاب لوط وأصحاب الايكة.

يري بعض علماء الدين انه إذا كان *قومتُبَّع* قوم كافر فهذا لا يعني بالضرورة ان يكون *تُبَّع* " نفسه أحد الكفار هؤلاء. هم يعطون أيضا صفة إيجابية لشخصيته. وهذا التوجه موجود بشكل واضح في مصدر علم الحديث

الذي يزعم بان تُبَّع " هو للملك الحميري أبو كرب اسعد الكامل الذي ادخل اليهودية الي اليمن قد تم قتله على ايدي قومه([1]).

يطلق علماء الحديث العرب المسلمون اسمتُبَّع " (بدون أداة تعريف دائما) على حكام حمير الراحلون. ولكن الأصل المحدد لهذه التسمية أصبح امرا منسيا بشكل واضح وذلك كما يتضح من تنوع المعاني الخاصة بها. وهي كالتالي:

١- ان "تبع" تعني ملك معروف بكثرة اتباعه او تعني بان "الأخير يتبع الأول منهم في الحكم".

٢- بالنسبة لابن حبيب ان "تبع" تعادل "لقب ملك ملوك".

٣- يفترض المسعودي بان لقب "تبع" ينتمي فقط الي هؤلاء الذين كانوا حكاما على اقوام الشحر وحضرموت.

اذا كان قد حمل ملوك عديدون اسم تُبَّع " فان ال"تُبَّع "" هذا بشكل قاطع هو تبان أبو كرب اسعد الكامل وهو ابن ملك كرب الذي ادخل اليهودية الي اليمن. وهذا الملك "تبان" من خلال تسميه المنقوشات هو ابى كرب اسعد بن ملك كرب والذي حكم حمير من عام ٣٧٧ تقريبا حتي الأعوام ٤٤٠. ولقد عرض جاك ريكمنس تفسيرتُبَّع ب"التابع" (تابع للرب الأوحد) وذلك من خلال احد معاني الفعل "تَبِعَ" ولكن لا يتوافق هذا التفسير مع شمر يهرعش الذي كان مشركا. وفي الوقت القريب قاد مانفريد كروب (عام ٢٠٠٩) بحثا موسعا عن معني "تبع" في القران مفترضا بانه اسم مشترك يعني :

people of their kind, following them

[1] (١)بالنسبة للعلماء اليمنيين الهماني ونشوان والذين اهتموا بتفسير الامجاد العظيمة في تاريخ حمير فهم يرون ان من قتل ليس ابوكرب ولكن حفيدة "تبع الشاب عمرو بن حسن بن أسعد".

هذا الافتراضالقائم على معاني أصل الكلمة يعتبر اقل اقناعا ذلك لان كلمة "تبع" في المفرد وبدون أداة تعريف اطلاقا فهي بشكل واضح اسم علم.

ولم يتوافق علماء الحديث على قائمة بأسماء من حملوا اسم *تُبَّع* " ولا وعلي أسماء من كان اولهم او من كان اخرهم (بالنسبة لابن هشام ليس هناك سوي اثنين فقط باسم "تبع". الأول خو زيد والأخير هو تبان أسعد أبوكرب وهو والد حسن الذي حكم اليمن بعد ربيع بن نصر.). ومن الملحوظ مع ذلك انه لم يعطي أحدا لقب *تُبَّع* " الي الملك يوسف ذ ونواس وذلك بلا شك لان هذه الشخصية كانت مثار جدل. ولا يبدو بان *تُبَّع* " مقر به كاسم في اللغة العربية. ولكن يوجد اسم من نفس التركيب وهو "تِبع" وينظر في ذلك كتب الانساب لابن الكلبي. اما الحسن الحمداني فيكتب من جانبه اسم هذه الشخصية "تِبع" ويذكر أيضا نموذجين تِبع بن زياد بن عمرو وتِبع بن دهمان بن بقيل.

ان استعمال اسم *تُبَّع* " للإشارة الى ملوك حمير الراحلين هو بلا شك سابق للقران من الناحية الزمنية بما اننا نجد هذه التسمية عند بعض الشعراء الجاهلين. هذه التسمية ليست متكررة كما يلاحظها مانفريد كروب. وهذا ليس له معني بما اننا نستطيع ملاحظه نفس الامر عند الحديث عن لقب كثرى اللقب الذى أعطاه العرب الى الملك الساساني. ان لقب تبع ليس موثقا في المنقوشات الجاهلية ولا في المصادر الخارجية ولم يحمل أي من ملوك حمير المعروفين اسم مكون من أصل الكلمة*تُبَّع* " وعلى الرغم من ذلك فان اصل الكلمة موثقا في بعض الكلمات في لغات جنوب الجزيرة العربية لاسيما اسم *تُبَّع* " المكتشف في نص واحد بمعنى "التبع": ويقول النص:

" وبسبب أن ام الالهه أعطت أطفال وتبع حي وفى صحة جيده الى خادمها "يزعن" في قصور ***بنو زرب، ثور وزحت****" (رجاء التأكد)*

نعرف أيضا مجموعه من الأسماء قائمه على هذا الأصل : تبعُ / تبعً./.تبعت/ تبع كرب(وجد في منقوشة سبئية من أثيوبيا).

اجمال يبدو من الصعب تقديم تفسير مقبولا لتعبير "*قومتُبَّع* " في القران. يمكن النظر الى تفسيرين. وفقا للتفسير الأول فان*تُبَّع* " هي لقب قديم كان يعطى لملوك حمير وكان هذا اللقب دائما بدون اداه تعريف في حاله استخدامه في صيغه المفرد. ويمكن يشتق من اسم علم تماما مثل قيصر او كسري. استخدم القران أيضا *تُبَّع* " للإشارة الى اليمن مشيرا الى حدث مأساوي معروف للجميع ولكن لا يمكننا تحديده بدقه. ان غياب توثيق*تُبَّع* " في المنقوشات الحميرية لا يعد بالضرورة عيبا. فيمكن ان نفترض على سبيل المثال ان هذا اللقب كان استخدام شعبي في مملكة حمير او انه ابتكره عرب الصحراء. وتكمن الصعوبة على الأرجح في كون " *قومتُبَّع* " تم ابادتهم بسبب شركهم وذلك وفق للنص القرآني. وهذا الامر لا يتناسب جيدا مع حمير التي كانت يهودية مع بداية عام ٣٨٠ ثم مسيحيه. لا يبدو ان زوال" *قومتُبَّع* " يمكن ان يكون ذكرى للتدمير اليهودية السياسية في مملكة حمير اثناء الفتح الاكسومى في السنوات ٥٢٥–٥٣٠ والذي يتسم بمذابح على نطاق واسع و الأحاديث المتصلة بهذا الحدث لم تربط بينها اطلاقا وبين قوم *تُبَّع* ".

وفى صالح افتراض بانه لقب قديم اقره القران يمكن ان نشير الى ان علماء الحديث يذكرون لقب ملكي اخر مجهول في المنقوشات وكذلك بالنسبة للقران وهذا ما لا يجعله بالضرورة مصدر: وهو القول بان أبو كرب الاسعد أيضا قد سمي *تُبان* او *تِبان*. هذا اللقب المجهول المعنى لم يذكره العلماء اليمنيين الحسن الحمداني ونشوان الحميري. التفسير الثاني يبدل المعنى ما بين القران وحمير. فان تعبير قوم *تُبَّع* " هو تعبير قراني مثله مثل العديد من المسميات الأخرى الغامضة مثل قوم الأيكة او قوم الرس. ولقد اخد اليمنيين كلمه*تُبَّع*"

بعد الإسلام واطلقوا منها لقب لملوكهم القدماء لكى يعطوهم مكانه قرانيه مثل فرعون ولقد شرعوا في ذلك أيضا مع اخدود كما سنراه لاحقا. هناك مثال اخر يفرض نفسه. وهذا نجده في سوره الحج الآية ٤٥:

فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ

بالنسبة للعلماء اليمنيين فإننا نري هنا إشارة الي مدينة ريدة الواقعة على بعد خمسون كيلو مترا شمال صنعاء في حين ان النص القرآني لا يقدم أي إشارة لليمن. ومن اجل الفصل بين التفسيرين فليس لدينا الا الشعر الجاهلي الذي يعطي *تُبَّع* "معني ملك حمير. ولكن لماذا مثل هذا الاسم؟ وهل هذا الاسم له هذا المعني فقط؟ بطريقة أكثر تأملا افترض ان *تُبَّع* " يجب ان تشير الي بطل اسطوري من صحراء الجزيرة العربية. ففي القران نجد ان تعبير" *قومتُبَّع* " يشير الي هذا البطل المعروف بدلا من ملوك حمير الذين كان يمكن تحديديهم من خلال ذلك البطل.

يقوم هذا الافتراض علي إمكانية اخري موازية لذلك تقدمها قصة "ذو القرنين" ذلك اللقب المستعمل للإسكندر. هناك حجر لوحي يقدم صورة لشخص كثيف الشعر وله خصال من شعره على هيئة قرنين ويفترض انه " *ذو القرنين*". وظهرت هذه اللوحة الحجرية في سوق التحف القديمة عام ٢٠١٤. (ملحوظة من جانب المترجم: هذه العبارة تشير الي المنقوشة رقم ٥ الموجودة في اعلي صفحة ٥٣ في البحث الفرنسي يرجع للصورة). وتبدو ان أصول هذه اللوحة ترجع الي جنوب الجزيرة العربية. اما بالنسبة لتاريخها فلا نستطيع الاعتماد في ذلك الامر الا على أسلوب نقشها والذي يجعلنا نفترض انها ترجع للقرن الرابع الميلادي تقريبا. ومن اول نظرة عليها نجد ان الشخصية المنقوشة توحي بكائن اسطوري، قوي بشكل مذهل وذو قدرة هائلة بفضل شعره ولحيته التي لم تعرف الحلاقة ابدا. إذا أردنا تسميته فنعتقد في الحال بانه "ذو القرنين".

وبلا شك فان ملك الحيرة المنذر الثالث (المتوفي عام ٥٥٤) والاسكندر المقدوني تمت تسميتهم بلقب "ذو القرنين" لكل منهم وذلك من خلال الرجوع الي شخصية هذا البطل كمصدر لهذه التسمية.

"أصحاب الأخدود"

ان تفسير سورة البروج يقوم قبل كل شيء على تفسير كلمة *الاخدود* والتي يمكن ان تكون اسم علم وكذلك اسم مشترك. تشير *الاخدود* اليوم الي موقع قديم هام في واحة نجران. ويؤكد علم الاثار من الان فصاعدا بان *الاخدود* لم يكن الاسم الجاهلي للمدينة التي تتواجد في هذا النطاق. ويستنتج من ذلك ان هذا الاسم تم إدخاله الي أسماء الأماكن حين تم البدء في تحديد هوية *"أصحاب الاخدود"* المذكورين في القران المسيحيون المقتولون في نجران علي يد الملك يوسف في نوفمبر عام ٥٢٣. تتكون سورة "البروج" من ثلاثة أجزاء والذين يعتبرهم ريجي بلاشير على انهم " نصوص قديمة متقاربة". تبدأ السورة بسلسلة من القَسَم (الآيات ١-٣) كما هو الحال عادة في السور القديمة. تشير السورة بعد ذلك الي الموت المأساوي لأصحاب الاخدود (الآيات ٤-٧) كضحايا لإيمانهم بالرب (الآيات ٨-٩) وتتوعد السورة الجلادين بجنهم وتبشر الضحايا بالجنة (الآيات ١٠-١١). وتذكر السورة بان الرب المهيب بالتأكيد هو الخالق وهو الباعث بعد الموت (الآيات ١٢-١٦). وتسال السورة في النهاية عن مدي استيعاب الدرس من قصة هؤلاء المشركين (الآيات ١٧-٢٢). ووفقا لريجي بلاشير الذي يميز بين أربع فترات للوحي فان هذه السورة تنتمي الي الفترة الاقدم التي تتسم بالآيات القصيرة وذات القوافي وبأسلوب موجز وبوجود القَسَمِ. وتندرج في إطار موضوع نهاية العالم والقضاء الأخير.

ينتمي تعبير *"أصحاب الاخدود"* الي سلسلة طويلة من التعبيرات المذكورة بكلمة "اصحاب" ومفردها "صاحب" والتي تشير الي مجموعات من اشخاص تجمعهم سمة مشتركة. نذكر هنا "أصحاب الجنة" او "أصحاب النار"، "أصحاب الجحيم"، "أصحاب السعير" وكذلك المباركون "أصحاب اليمين"، "أصحاب الميمنة" والملعونون "أصحاب المشئمة"، "أصحاب الشمال" ونذكر أيضا الصادقون "أصحاب الصراط المستقيم" و

النائمون المعروفون "أصحاب الكهف" والميتون في المقابر "أصحاب القبور" وأصحاب نوح علي السفينة "أصحاب السفينة" وأصحاب موسي في الصحراء المعروفون ببني اسرائيل "أصحاب موسي" وكذلك أيضا نذكر "أصحاب السبت".

يشير هذا التعبير ابضا الي بعد الأشخاص الذين عصوا الرسل في الماضي: "أصحاب الحجر" / "أصحاب مدين"/ "أصحاب الأيكة" /"أصحاب القرية"/"أصحاب الرس".

يمكن تعريف كلمة "أصحاب" باسم مكان باسم شخص، بعمل ما، بصفة ما، بحيوان ..... الخ. لذلك فهي لا تساعد على توضيح معني كلمة "الاخدود". اما بخصوص تحديد هوية "أصحاب الاخدود" فان القران لا يقدم الا إشارات بسيطة مثل " قتل أصحاب الاخدود" وبان طريقة موتهم هو النار والتي يأتي ذكرها بعدهم مباشرة. ويذكر القران بأنهم كانوا مؤمنين وتم قتلهم بسبب ايمانهم وبان هناك مجموعة من الشهود غير المعروفين قد حضروا مشهد القتل ولا يذكر شيئا يحدد هوية من فعلوا ذلك بهم.

بالنسبة لعلماء الحديث العرب المسلمون وتقريبا بالإجماع فان "أصحاب الاخدود" يحدد هويتهم بهؤلاء من قاموا بأزمة نجران في الأعوام ٥٢٢-٥٢٣. وفقا لسيرة ابن هشام فان ملك حمير المسمى جوزيف او يوسف والملقب بذو نواس قد نزل الي نجران مع جيشه ليدعوا السكان المسيحين الي اعتناق اليهودية وترك لهم الاختيار بين ذلك او الموت. واختار السكان الموت. فقام ذو نواس بحفر أخدود واهلك فيها عددا منهم بالنار واخرون بالسيف حتى وصل العدد الي عشرون ألف من القتلى. ولقد استطاع رجل من نجران الهرب وذهب لطلب النجدة من امبراطور بيزنطة الذي ارسله الي النجاشي. ووفقا لابن هشام فان "اخدود" التي هي اسم مشترك جمعه "اخاديد" تعني "الحفر المستطيل في الأرض كالخندق والجدول ومانحوه". وهذا ليس اسم واحة نجران او اسم أي مكان في هذه المدينة.

نجد نفس الحكاية عند الكثير من المؤلفين مثل الطبري ونشوان الحميري والذين لا يختلفون الا في أسباب الازمة. نستطيع ان نقول ان علم الحديث ليس اسهابا بسيطا للنص القرآني. فهو يحتوي على معطيات جوهرية مثل الاسم اليهودي للملك ذو نواس (جوزيف/يوسف) او كقصة "ذو تلبان". بالنسبة لغالبية العلماء وعلماء الدين العرب المسلمون فان تعبير "أصحاب الاخدود" يشير الي ضحايا مجزرة نجران. والبعض أيضا يشيرون مع ذلك الي تعريفات اخري لاسيما دانيل وأصحابه (الطبري في تفسيره للقران).

يشير تعبير "أصحاب الاخدود" في القران بشكل كبير الي من وقع عليهم التعذيب وليس الجلادون وذلك كما يشير اليه ريجي بلاشير. ولكن عند علماء الحديث العرب المسلمون صيغة المفرد "صاحب الاخدود" تشير الي من قام بالتعذيب ضد مسيحي نجران وهو الملك يوسف. نجد ايضا هذه التسمية عند وهب بن منبه (المتوفي عام ٧٢٨ او ٧٣٢) وبن حبيب (المتوفي عام ٨٦٠) ونشوان الحميري (المتوفي نحو عام ١١٧٨). هناك اسهاب اخر للنص القرآني وهو استخدام كلمة "الاخدود" لتسمية الموقع الاساسي القديم لواحة نجران وأيضا للواحة بأكملها. وهذا ما وجدناه من قبل عند الحسن الحمداني (المتوفي بعد عام ٩٧٠) وعند البكري (المتوفي عام ١٠٩٤). ان هذا التحديد له نتائج علي أسماء الأماكن المحلية. فان الموقع الاثري الأساسي لواحة نجران يسمي اليوم "الاخدود".

تسمح المصادر الخارجية بتكوين فكرة محددة الي حد ما عن ازمة نجران وذلك بفضل مجموعة كبيرة من المصادرة المتنوعة: منقوشات تنتمي لجنوب الجزيرة العربية او جعزيات (من اللغة الجعزية الاثيوبية)، قصص بيزنطية، خطابات باللغة السريانية وكذلك نصوص تمجد شهداء نجران باللغة الاغريقية او بالسريانية. وبربط هذه المصادر مع بعضها يمكننا ان نكون حبكة للأحداث بطريقة مؤكدة. لقد أصبح ملك حمير باليمن تابع لملك اكسوم في اثيوبيا وذلك في بداية القرن السادس الميلادي. ونحو خريف عام ٥٢٢ تمرد ملك حمير بعد

ان وضعه الاكسوميون على العرش. ثم اخذ السيطرة على عاصمته بعدما قتل الفرقة العسكرية الاكسومية ثم انطلق في حملة قاتلة ضد حلفاء اكسوم. ولم يستجب سكان نجران في اول الامر لطلبه منهم بمده بفرق منهم وأرسلوا انفصالهم عنه ولكن غيروا رأيهم بعد ذلك عندما علموا بما حدث. ودخلت الواحة في انشقاق.

أرسل ملك حمير جيشا لاستعادة السيطرة على نجران. وقاومت الواحة جيشه. ولكي تتراجع نجران لزم الامر ان يأتي الملك بنفسه ليعطي ضمانات تأكد أمن المتمردون. ولكن لم يلتزم الملك بوعده بعد ذلك. فقام بقتل المتمردون. وحدثت هذه النهاية المأساوية في نوفمبر عام ٥٢٣.

يسمي ملك حمير هذا بيوسف ازار يثأر. ويسمي "زرعة ذو نواس" و يوسف أيضا في علم الحديث العربي. وكان يهوديا وقائدا لليهود. ويفترض ان اعدائه كانوا من اكسوم وبيزنطة وأغلبية المسيحيون. وعلى الرغم من ذلك الا ان ضحاياه في نجران لم يكونوا المسيحين كلهم بشكل عام ولكن فقط الذين كانوا ذات ميول معادية للخلقيدونية واقاموا علاقات قوية مع شمال سوريا البيزنطية.

باختصار، انه ملك يهودي لحمير (متمرد ضد الاكسوميون المسيحيون الذين وضعوه على العرش) استعاد بالحيل والمكر السيطرة على ارض في مرحلة انشقاق بين سكانها وقام بقتل المسؤولين المسيحيون. يمكننا ملاحظة الكثير من نقاط الالتقاء الهامة بين علم الحديث العربي المسلم والمصادر الخارجية. وهي كالتالي:

= اسم الملك "يوسف" وهو اسم يتفق تماما مع شخص يهودي.

= اسم "دوس زي ثعلبان" وهو اسم الرجل الذي هرب من نجران ليخبر الامبراطور. هذا الاسم والذي لا يعرف علماء الانساب العرب المسلمون شيئا عنه([1])هو اسم لاحدي العائلات النبيلة في نجران قبل الإسلام.

= اسم "خِيَاَر" (قراءات اخري جبار و حيان) بن فيض وهو وفقا لحيث رواه الطبري كان الرجل الذي هرب من نجران. واسم "خيار بن فيض"يتواجد في نسخة عربية اخر كتاب الشهداء والموتى الاغريقي (مارتيريون). __حيان__ أيضا هو الشخصية التي أدخلت المسيحية الي نجران وفقا لمصادر علم الحديث السرياني.

= اسم النجاشي "كَلِب" وفقا لنشوان الحميري هو اسم قائد حبشي يسمي "كاَلِب"([2]).

من الواضح ان بعض المؤلفون العرب المسلمون الراغبون في تفسير النص القرآني بشكل اكثر وضوحا قد قارنوا معارفهم بمعارف العلماء المسيحين. فعندما يشير ابن هشام الي ان سكان نجران مسيحيون في حين ان الواحة تضم يهود ووثنين فهذا يجعلنا نعتقد انه لجئ الي مصدر مسيحي. ان المصادر النقشية تسمح بالتأكيد علي انه لا يوجد أي مكان قديم في واحة نجران كان يسمي "الاخدود". ووفقا لم وجد في منقوشتان وجدوا في تنقيب في موقع الاخدود لفريق عواد الظهران وكذلك وفقا لنصين سبئيين عن اليمن فان اسم المدينة الأساسية في الواحة قبل الإسلام هو "ظربان" ماعدا عصر بعيد جدا كانت "رجمت".

يذكر علم الحديث العربي المسلم "ظربان" بطريقة غير مباشرة في الانساب الخاصة ب"همدان". وفقا للحسن الهمداني فان "ظربان" هو ابن "أمير" (فرع من "بكيل" والتي هي نفسها احدي الفرعين الاساسين ل"همدان"). "أمير" هو اسم القبيلة التي سيطرت علي نجران في فترة ما بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الأول

---

[1](١)يذكر ابن الكلبي هذا الاسم ويضعه في نسب حمي دون ان يعرف شيئا عنه وبالتالي لم يذكر له أي ابن. ان كان الهمداني ينسب له بعض الأبناء فهو لم يستطع ان يجمع عنه الا بعض المعطيات غير المنسجمة مع بعضها.

[2](٢)نشوان هو المؤلف العربي المسلم الوحيد الذي اعطي هذا الاسم في وذلك كتابه "ملوك حمير" ص.١٤٨

الميلادي. اذا فان علم الحديث يذكر ان "أمير" سبقت "ظربان" وبالتالي كان لها السيطرة علي الكيان الذي تمثله "ظربان" دون أي ذكر للعلاقة مع نجران.

كانت ارض "أمير" محددة في عهد "الهمداني" ببعض الوديان والجبال القاحلة بين نجران والجوف. اما ذكر "ظربان" فهو امر اختص به الهمداني ولم تتواجد في المقابل عند ابن الكلبي في عمله الخاص بأنساب "همدان". لكنهم اتفقوا فيما يخص اصل "أمير". ان ذكر "ظربان" يؤكد اذا ان الاحاديث التي جمعها الهمداني من خلال العديد من علماء عصره تذكر أحيانا معطيات قديمة جدا وبدون شك منقولة من الاحاديث الخاصة بالعائلات.

ان أطلال "ظربان" تسمي "الاخدود" في المصادر العربية الإسلامية وذلك منذ زمن بعيد جدا وهذا الامر نجده اما بشكل مباشر كما هو الحال عند البكري او الهمداني واما بشكل غير مباشر مثل لقب "صاحب الاخدود" المعطي لذو نواس والذي نجده عند "وهب" او "بن حبيب". يبدو الان بشكل مؤكد ان هذه التسمية أتت بعد ظهور الإسلام. وهذه التسمية مشتقة بشكل مؤكد من تعريف "أصحاب الاخدود" المذكورون في سورة البروج بمسيحي نجران المقتولون علي يد ذو نواس. نفترض ان هذا التحديد لهويتهم قد وضع من قبل عن طريق مسيحي الواحة اثناء مواجهاتهم للسلطات المسلمة سواء في نجران نفسها او في مدن الإمبراطورية التي تم طردهم نحوها.

نتساءل في النهاية عن الوسائل التي استخدمها الملك يوسف في القضاء على مسيحي نجران. ان الأربع القصص التي لدينا والمكتوبة باللغة السريانية(خطاب جويدى ، خطاب شاهد وكتاب الحمير) واللغة الإغريقية (كتاب الشهداء والموتى المارتيريون) تعطى هذه القصص صوره محدده عن هذا الامر. ان قصه " *خطاب* "

جويدى هي بدون شك الشهادة الأقل تعديلا وتذكر في البداية وثيقه مقدمه على انها خطاب من الملك المضطَهِد (بدون اسم) الى الملك النصري (بنو نصر) المنذر وهذا الخطاب يميز ست احداث :

١ – تسليم المسيحين لذهبهم وفضتهم .

٢– احراق عظام الاسقف بول الثاني و الكنيسة التي تجمع فيها الكهنة والرهبان.

٣– الطلب الموجه الى النبلاء "لمطالبتهم بإنكار المسيح والصليب وان يصبحوا يهودً". ثم رفض من جانبهم وعقاب لقائد منهم (اسمه غير معروف). ثم موت او هروب الاخرون.

٤– نفس الطلب موجه الى النساء والراهبات واللاتي رفضن هذه الطلب بل وتسابقن على من تموت منهن قبل الأخرى.

٥– استدعاء جديد لإمراه (غير مسماه) كانت زوجه لرجل تم إعدامه وكانت معروفه بنبلها وجمالها ومكانه عائلتها. حضرت مع بناتها وبسبب عنادها امر الملك بذبح البنات واجبر الام على شرب دمائهن ثم امر بقطع رأسها.

٦– قرار كبار الكهنة والملك بتوزيع أبناء وبنات المسيحين بين كبار القوم.

تفاصيل جديده رواها رجل من الحرث والذى كان قد ارسل الي نجران للاستعلام عما يحدث وقد قال الاتي:

= النبلاء وعددهم ٣٤٠ وكان قائدهم حارث ابن كعب. وقدم هذا الرجل تقرير مفصلا عن مثول حارث امام الملك. لقد قطعت رؤوس حارث وكل النبلاء في مجرى يسمى "وادى".

= طفل عمره ثلاث سنوات أراد ان يموت مع امه تم قطع راس الام والطفل تم تسليمه الى احد كبار القوم.

= اصغر فتاه من العائلة المباركة وهي "دمى بنت ازمني" بثقت هذه الفتاة في وجه الملك و القت في وجهه اللعنات قبل ان يتم ذبحها.

في هذه المرحلة بدأت مرحله اعاده عمليه تحديد تفاصيل الاحداث التي تقوم على تسميه الشهداء وتحديد عددهم ووصف وضعهم البطولي في مواجهه الملك المضطهد وكذلك شرح تفاصيل اشكال التعذيب التي عانوها. غالبيه هذه التفاصيل المضافة تتبع نماذج نمطيه ولا تخبر شيئا زائدا يخص الاحداث. واستمرت هذه العملية في اطار "الوحدانية" من خلال نص "*خطاب*" *شاهد* و نص "كتاب الحمير" من جانب وفى اطار المسيحية الخلقيدونية من خلال كتاب النص الإغريقي الخاص بالشهداء (المرتيريون) من جانب اخر. وفقا لنص "*خطاب*" *شاهد* فان هؤلاء الذين تم حرقهم في الكنيسة عددهم ألفين. وكل الشهداء الذين شكلوا موضوع لقصه مفصله كانوا لهم اسما. والكثير من مشاهد التعذيب وصفت بالتفصيل ان القائد حرث ابن كنب لم تقطع رأسه ولكن خضع الى تدابير مشدده ومنها ان يتم تعريته بالكامل. وتم تقديم هذا البطل في صوره المحارب الشجاع الذى قتل "اخو الشخص الجالس على يمين يوسف والذى كان ابن عمه". اما الشخصية التي سميت باسم "دمى بنت ازمني" في نص "خطاب" ازمني" فهي تسمى هنا "رهم بنت ازم" وهى قريبه للشخصية البارزة حرث بن كنب. ويتم تقديمها أيضا في المراجعات اللاحقة لهذه الخطابات على انها زوجه حرث.

اما كتاب الشهداء والموتى المكتوب باللغة الإغريقية (المرتيريون) فهو يسير على نفس النهج ويشير الى ان من تمت حرقهم في الكنيسة عددهم ٤٢٧ ويضاف اليهم ثلاث مجموعات من الشهداء وعددهم ٤٢٥٢ و٢٢٧ و٣٤٠ على التوالي. ويصبح هنا "اريتاس بن كنف" الشخصية المركزية للقصة ويصبح "قائد للشعب بأكمله سواء في المدينة او في البلد بأكملها". تقدم المصادر المسيحية صوره عن عمليه الاضطهاد التي من

الصعب معرفتها في سورة البروج. فالقران يشير فقط الى النار في حين ان المصادر الخارجية تذكر بشكل خاص شهداء مذبوحين او مقطوعي الراس. ومع سيره ابن هشام بدأت ملاحظه هذا التناقض. يشير هذا الكتاب الى ان البعض تم هلاكهم بالنار ولكن البعض الاخر تم قتلهم بالسيف. وهذا من جديد يعتبر نوع من التفاصيل التي تشير الى اللجوء الي بعض المصادر المسيحية للوصول الي تلك التفاصيل. هناك اختلاف ثاني وهو عدم وجود الاخدود في المصادر الخارجية. فلو كان الكهنة والرهبان قد هلكوا بالنار فان ذلك سيكون قد حدث وهم محبوسين داخل كنيستهم. ان غالبيه علماء الغرب (لاسيما ابرهام جيجر وجوزيف هوروفيتز واكسيل موبرجوهوبرت جريم ورودى باريت وريجي بلاشير واخرون) فهم يشكون في تحديد هويه أصحاب الاخدود من خلال حدث في الماضي على انهم ضحايا مذبحه نجران او دانيل وأصحابه. فهم يعتقدون انه يجب البحث عن تفسير متعلق بمفهوم الايمان بالآخرة: ان "أصحاب الاخدود" سيكونون المشركين اللذين سيدخلون جهنم في لحظه يوم الحساب بسبب جرائمهم ضد المؤمنين. ان النص القرآني لا يقدم في الواقع أي اشاره زمنيه او مكانيه ولا يوحي حتى بان هؤلاء المؤمنين كانوا مسيحين. وفى اطار هذا التفسير فلقد لاحظنا منذ وقت طويل بان الآية الخامسة من النص القرآني" النار ذات الوقود" يرسم التعبير الارمى الخاص ب"الفرن الناري " والذى نجده في " كتاب دانيل" (دانيل الجزء الثالث الآيات ٦ -١١-١٥-١٧-٢٠-٢١-٢٣ و٢٦).

منذ اكتشاف مخطوطات البحر الميت " قمران" يمكن اضافه برهان جديد في هذه المخطوطات. حيث نجد ان كلمه "شيول" يشار اليها بالعبرية "شهات " الاخدود". ويشير مارك فيلوننكو الى تعبيرات أخرى وهى" بنى هشت" "أبناء الاخدود" و مصطلح "إنس هشت" او "ناس الاخدود" وذلك للإشارة الى المشركين والملعونين وأيضا هؤلاء الذين سيقع عليهم العقاب يوم الحساب. ان التعبير القرآني يمكن ان يكون اذا عبارة عن تتبع

لهذه التعبيرات الموجودة في مخطوطات البحر الميت. وان التفسير القائم على الايمان بالآخرة يصطدم مع ذلك بصعوبتين. الاولى هي ان القران على الرغم من انه غنى بالكلمات التي تشير الى جهنم الا انه لم يشير ابدا الى اخدود (اذا استبعدنا من ذلك أصحاب الاخدود.). الصعوبة الثانية تتواجد في الآية الرابعة "قتل أصحاب الاخدود". فهنا استعمال الفعل "يقتل " لم يشر الي الملعونون.

في الختام فان المعضلة كبيره. لدينا تفسيرين متناقضين وغير مناسبين ايضا. التفسير الأول يفترض ان "أصحاب الاخدود" هم الضحايا المسيحين لمجزرة نجران. لكنهم لم يتم قتلهم في أخدود وان من تم ذبحهم او قطع رؤوسهم فهم لم يتم حرقهم بالنار. اما التفسير القائم علي الايمان بالآخرة فهو أيضا يمثل صعوبة: هو يقول ان الملعونون معاقبون ولكن ليس "مقتولون"". مهما كان الامر فان هناك شك كبير في ان يكون في سورة البروج مرجع تاريخي مثلما يفترضه العلماء المسلمون.

وفي هذه النقطة فإننا لدينا الان إجابة مؤكدة بفضل علم الاثار الذي يوضح ان "الاخدود" لم يكن اسم المدينة الأساسية لواحة نجران قبل الإسلام مثلما يفترضه علم الحديث العربي المسلم. كانت تسمي هذه المدينة ب"ظربان". اما تسمية "الاخدود" فهي بشكل واضح مشتقة من تحديد هوية "أصحاب الاخدود" بالمسيحيون المقتولون في نوفمبر ٥٢٣(بدون أساس لذلك التحديد).

هناك " قصص أخرى عن العقاب الديني " كانت بارزه في علم المنقوشات او في علم الاثار ولكن بطريقه اقل تحديد. نذكر منها قصه "الحجر" وقصه "عاد" وقصه "أصحاب الأيكة". لم تجد عمليات التنقيب الفرنسية في "الحجر" (مدائن صالح اليوم) اثار للعيش فيها في عهد محمد ابن عبدالله ولا في المدينة نفسها ولا في المقبرة الكبيرة المجاورة. كان الموقع صحراوي تماما وقت بزوغ الإسلام. ولم يكن اذا من المدهش ان هذا الموقع استخدم للإشارة للعقاب الإلهي الذى أصاب الكفار والمذكور في سورة الحجر. فيما يخص قصه عاد فان

دراسة منقوشات وادى رم في جنوب الأردن تذكر مجموعه قبليه واسمها يكتب "عد" ويمكن ان ينطق عاد وأيضا عُد وكذلك عُدً. وتحديد هويتهم بعاد يبدو صعبا حيث ان المجموعة القبلية لليمن صغيره الحجم. على الجانب الاخر فان اسم عاد في القران مرتبطا بالنبي هود وبجنوب المنطقة وليس شمالها.

اما بالنسبة للأيكة فهذه الكلمة ينسب اليها هويات عديده وافتراضيه. ويمكن ان نشير الى ان منقوشه سبئية من اليمن تذكر منطقه تسمى *أيك* في الجوف. وبشكل واضح يكون الموضوع هنا لا يتعلق بتحديد هويه وانما فقط الإشارة الى وجود اسم مكان مكون من نفس أصل الكلمة.

حتى وان ذهبنا بعيدا بالأبحاث فالنتيجة التي سنصل اليها لن تمثل تغيرا جوهريا. فان القران يشير بشكل قاطع الى احداث تخص عصره مثل المدن القديمة المدمرة او مباني مائية مهجورة. لكن الشعوب المتعلقة بهذه الاثار وضحايا العقاب الإلهي غير مذكورون وكذلك لا يوجد أي اهتمام بالعصور او الأماكن.

اجمالا ما عدا استثناءات نادره مثل انتصار الروم ودمار سد مأرب ودمار مدينه الحجر وكذلك حمله أبرهة باستثناء هؤلاء فان التاريخ الحقيقي غائبا في القران. حتى عندما يكون الحدث الحقيقي هو اصل النص القرآني فهذا الحدث يعاد صياغته بالشكل الذى يهدف الى تهذيب المستمعين للوحى ولتحذيرهم من الغضب الإلهي. وبدون شك فيبدو الامر دائما مشوقا لمن يريدون عرض تفسير تاريخي او جغرافي للعديد من الكلمات والمصطلحات الغامضة في القران ولكن هذا البحث يبدو غير واقعي: فالقران يستنبط مادته قبل أي شيء من جوهر ديني وأسطوري. وهذا الجانب الديني والأسطوري لا تهتم به المنقوشات (فهي وثائق تهدف قبل أي شيء الى الدعاية لأصحابها) ولا تهتم أيضا به اعمال العلماء.